

الوحدة التاسعة.

نظرية الحقول الدلالية في تراث العربية.

توطئة.

اهتمّ علماء العربية بتجميع ألفاظ اللغة، حدث ذلك بطرق ومراحل متباينة نتحدّث في هذا السياق عن نظرية الحقول الدلالية، لعلاقتها المباشرة بجمع اللغة ومنه المعجم.

أولاً/ نظرية الحقول الدلالية Semantic Fields Theory وطبيعة علاقاتها.

إذا انطلقنا من حادثة علم الدلالة، نجد أن مصطلح الحقل جاء نتيجة مساعي علمنة الدراسة اللغوية، فشاع في علم الدلالة الحديث استخدام مصطلحات الحقل، والفصيصة، والجذر، والأصل، والفرع، وحتى مصطلح الشجرة والعائلة وغيرها.

تُعنى النظرية بتجميع المفردات في حقول أو مجالات دلالية، تجمعها ملامح دلالية مشتركة. يرى أولمان أن قيمة الكلمة تكمن في "مكانها في نظام من العلاقات التي تربطها بكلمات أخرى في المادة اللغوية." ¹ شبه هذه العلاقة بالقول: "إن عبارة ما هي أشبه ما تكون بمركز مجرة لا يمكن التنبؤ بعدد الكلمات التي ستوحي بها الذاكرة ولا بترتيب ظهورها." ²

تقوم النظرية على تنظيم "مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها حيث تجمع الكلمات إلى بعضها في حقل واحد." ³ يُشكّل الحقل "المساحة الدلالية التي تغطيها مفردة أو مجموعة من مفردات اللغة."

تهتم هذه النظرية بمعاني الكلمات المفردة، فتتنظمها في أشكال من العلاقات منها: ⁴

- 1- الترادف Synonymy: ويعني أن الكلمتين تتضمنان المكونات نفسها.
- 2- الاشتمال العموم Hyponymy: وتكون أحد الكلمتين مشتملة على الأخرى وأعمّ منها.
- 3- التضاد Antonymy: وله أنواع هي:

1 ستيف أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، ص 201.
2 فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ت يوسف غازي، مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، ط 1986م، ص 152.
3 أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 79.
4 محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ص 152، 145.

أ- التضاد الحادAntonymy: وهو التضاد غير المتدرج مثل (حي/ ميت) فهما متقابلتان في الدلالة، ونفي أحدهما يثبت الآخر.

ب- التضاد المتدرج Graded Antonymy: وهو التضاد الذي يسمح بالتدرج بين طرفي التضاد، وليس نفي أحدهما مطلقاً مثل: (الصغير/الكبير)، (الساخن/ البارد).

ج - تضاد التضايف: وهو نسبة بين (منطوقين) كل منهما مرتبط بالآخر مثل:(الأب/ الابن) فإنّ أحدهما لا يدرك إلا مع إدراك الآخر.

د - علاقة التنافر: وهو نسبة بين منطوقين يمكن اجتماعهما معاً في شيء واحد وفي زمان واحد. كذلك يمكن انتفاؤهما معاً في زمان ومكان واحد مثل (الطول/ اللون الأبيض).

4 - علاقة الجزء بالكل.

وهذه النظرية أساسها التجميعي التصنيفي تُعدّ منهجاً ملائماً لتفعيل منهج المقارنة بين المجموعات اللفظية في اللغة نفسها.

ثانياً/ نظرية الحقول الدلالية في تراث العربية.

أ/ جمع اللغة، ومصطلح الباب مرادف لمصطلح الحقل.

لم يكن التجميع الحقولي للمفردات في تراث العربية أساساً ومطلباً في حدّ ذاته، وإنما هو نتيجة حتمية لفكرة التجميع، فقد كان علماء العربية يسيحون في أرجاء الجزيرة وبواديها، يجمعون ألفاظها في أشكال صغيرة من الرسائل هدفها جمع شتات الكلمات، وبه تشكّلت النواة الأولى للمعجمية العربية، والأساس الأول من أسس نظرية الحقول الدلالية.

على أنّ المصطلح الذي شاع في كتب التراث هو مصطلح الباب، حيث تُجمع الألفاظ في حقل تجمعها صفة واحدة، لم يقتصر على مجال دون آخر، بل شمل كلّ مفردات اللغة، وظهرت مؤلفات كثيرة، وأبواب كثيرة، ينتهي أمرها إلى حصر اللغة كلّها.

ففي ذكر ما جاء من صفات المؤنث من غيرها ذكر السيوطي في مزهره مثلاً: " باب مالا تدخله الهاء من صفات المؤنث " كثرت هذه الدراسات بشكل منقطع النظير، ومرّ التأليف بمرحلة " الصفات أو الغريب المصنّف، وفيها يتمّ جمع مفردات الباب الواحد وضمها إلى بعضها، ومن أبرز أمثلتها: كتاب المطر وكتاب اللبأ واللبن لأبي زيد الأنصاري، وكتب الصفات للنظر بن شميل، والغريب المصنّف لأبي عمرو الشيباني ومثله لقطرب.⁵

⁵ أحمد بن فارس، متخبر الألفاظ، تحقيق هلال ناجي، ط1، ت ط 1970، مطبعة المعارف بغداد العراق، ص14.

ب/ الرسائل اللغوية ملمح بارز في تراث العربية.

هي ملمح بارز من ملامح التأليف لتقاطعها الكبير مع نظرية الحقول الدلالية، وهي رسائل تطبيقية للكثير من القواعد في هذا الحقل المعرفي.

وبعد أن كانت اللغة مفردات مشتتة، جُمعت في رسائل نحصي منها رسائل عبد الملك بن قريب الأصمعي ت 216هـ الإبل، الخيل، الشاء، الفرق، النبات والشجر، الوحوش، خلق الإنسان. حيث يفصل في الحقل الواحد فيتحدث في باب الإبل مثلاً عن: نتاجها ولبنها، وحلبها، وأسماء أعضائها، وطريقة وورودها الماء، وسيرها، وما إليه..، وعالج في كتاب الوحوش، الحمار الوحشي، والظبي، والوعل، والنعام، والأسد، والذئب، والضبع، والثعلب، والأرنب البري، ويورد في أسماء الثعالب، ثعلب، ثعالة، الهجرس، سمسم، والتتفل هو ولد الثعلب، وما إليه.. ومن تلك الرسائل شجرة الدر، الاتباع، المثني، القلب والإبدال لأبي الطيب اللغوي، ومنها أيضاً ما ألفه أبو زيد الأنصاري، المطر، الهمز، اللبأ واللبن، النوادر، وألف الفراء، الأيام والليالي والشهور، المقصور والممدود، المذكر والمؤنث، الغريب المصنّف⁶ وهي مؤلفات جمعت بين تنوع مواضيعها من أسماء الحيوان إلى مصطلحات النحو إلى ألفاظ الإنسان، أسماء الأزمنة والقائمة تطول.

كما أنها تختلف من حيث التطويل والتلخيص، منها " التلخيص في معرفة أسماء الأشياء" لأبي هلال العسكري حيث رأى أن مؤلفه أنفع وأوضح قسمه إلى أربعين باباً، يتحدث في ظواهر الحياة المختلفة، قلل فيه من آراء القدماء وشواهد الشعراء، منه باب يتحدث فيه عن النوم، من باب " ذكر أخلاق الإنسان وأفعاله وتصرف أحواله " جاء فيه: " فأول النوم الوسن والسنة والنعاس: نعس ينعس ووسن يسن. ويقال للنوم: الهجود والهجوم. فأما التهجد فالسهر، وقيل هو السهر للعبادة، وفي القرآن (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) الإسراء، 79. والرقاد والتهويم رقد يرقد، وهو راقد وهم رقاد، وهوم يهوم تهويماً، والإغفاءة النومة الخفيفة.⁷

وورد في صفات النساء قولهم: " فمن صفات النساء جارية كاعب، وناهد، ومعصر، هي كاعب أولاً إذا كعب ثديها كأنه مفلّك، ثم يخرج فتكون ناهداً، ثم تستوي نهودها فتكون معصراً، - والملاحظ هنا أن الألفاظ جمعت على أساس متلاحق وفي ذات المجال -

وجارية عارك، وطامث، ودارس، وحائض، كلّ سواء، وجارية جالغ: إذا طرحت قناعها، وامرأة قاعد: إذا قعدت عن الحيض والولادة، وامرأة مغيّل: ترضع ولدها وهي حامل،

⁶ فصول في فقه اللغة، رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، ت ط 1987.

⁷ التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، لأبي هلال العسكري، تحقيق عزّة حسن، دمشق، ت ن 1969م، عن فصول في فقه اللغة لرمضان عبد التّوّاب.

وامرأة مسقط : ألقت ولدها بغير تمام، وامرأة مُسَلَّب : قد مات ولدها، وامرأة مُذَكَّر ، إذا ولدت الذكر، ومُؤنث: إذا ولدت الإناث، ومذكَّر ومُنث إذا كان ذلك من عاداتها، وامرأة مُغَيَّب ومُغَيَّب بتسكين العين وكسرهما (إذا غاب زوجها، وقالو مُغَيبة أيضا، وامرأة مُشْهَد: إذا كان زوجها شاهدا، وامرأة مقلات: لا يعيش لها ولد، وثاكل ، وهابل، وعالة من العلة، والجزع والقتين: قليلة الدرع.

ج/ كتب تجمع مفردات اللغة جمعا حقوليا.

وضع العرب مئات المصنّفات التي تجمع مفردات اللغة، فجاء منها الأضداد، والمترادف، والمُشترَك، والفروق، والإبدال، وهو من حيث المواضيع رسائل، تجمع ألفاظ اللغة على أساس حقول ومجالات.

وعلى العموم إذا اتّجهت النظريات الغربية الحديثة إلى التنظير، فإنّ تراث العربية يشكّل تطبيقا ممتازا لتلك النظريات.

تطبيق: تعرّف على مجموعة أخرى من الرسائل اللّغوية، في كتب التراث اللّغوي ، وحدّد الحقول الدلالية التي تنتمي إليها.

المصادر.

- 1/ السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها.
- 2/ فريد عوض حيدر، علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، مكتبة الآداب القاهرة، ط1، ت ط 2005م.
- 3/ فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامّة، ت يوسف غازي، مجيد النّصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، ت ط1986م
- 4/ أحمد بن فارس، متخبر الألفاظ، تحقيق هلال ناجي، ط1، ت ط 1970، مطبعة المعارف بغداد العراق.
- 5/ التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، لأبي هلال العسكري، تحقيق عزّة حسن، دمشق، ت ن 1969م، عن فصول في فقه اللّغة لرمضان عبد التّوّاب.
- 6/ فصول في فقه اللّغة، رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، ت.ط 1987.
- 7/ ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر.